



تداعيات أمسية ضبابية

الشوارع تستريح في دعة وهي تلمع تحت نور أضواء الشارع الخافتة بعد يومٍ مطيرٍ.. المباني الداكنة الرطبة أيضاً تبدو مسترخية وتعد عدتها للنوم.. بعض نوافذها مضاءً... أصحاب النوافذ المظلمة لم يعودوا بعد، أو أنهم خلدوا إلى النوم باكراً. أما أصحاب النوافذ المضاءة فأخالهم يحتسون أكواب القهوة أو الشوكولاتا الساخنة.. المدينة بشوارعها وأزقتها التي تمر أمامي عبر نافذة السيارة وقطرات المطر التي لا تزال عالقة بها، تبدو غير مبالية.. الموسيقى الشبيهة بموسيقى تنويم الأطفال اختيار جيد من قبل السائق.. الإطمئنان الذي يحيط بالأزقة الهادئة وشوارعها المبتلة يذكرني بما نفتقده في الشرق الأوسط.. أو ربما بعضنا..

أعذرني أيتها الدنيا إذ عدت لا أفهمك.. كنت أستطيع فهم كثير من أمورك الغربية، وأستطيع التمييز بشكلٍ دقيقٍ عما هو خطأ وما هو صواب، وأستطيع التعبير عنه بمهارة جيداً.. ولكني الآن أصبحت حقاً لا أفهم كيف تسيرين. لا زلت أرى الحقيقة أو أزعم، ولكنها أصبحت خافتة، يلقيها غشاءً ضبابي رقيق، لأن الأشياء تحدث عكس كل التوقعات، وتتجه إلى نهايات داكنة كهذه الليلة.. رحماك ربي بذلك الشرق.. رحماك..

تنعطف السيارة إلى شارعٍ أكثر اتساعاً.. مزيدٌ من النوافذ المضيئة، مزيدٌ من القهوة والشوكولاتا الساخنة.. أظن أنني سأعد لنفسي كوباً من القهوة حالما أصل إلى البيت.. وربما أتشجع وأطهو شيئاً من الأرز الذي تركته زوجة أخي عندما أتت

لزيارتنا.. ولكن ليس لديّ ما يؤدم به.. سأضع عليه قليلاً من زيت الزيتون عند التقديم.. هكذا كان عمر يؤدم خبزه اليابس بالزيت وهو يترقب أخبار جيوشه الفاتحة التي أرسلها لنشر نور الإسلام..

لو كنت تعلم ما الذي حدث لهذه الأمصار يا عمر، وللنور.. هل تعلم إذ ترقد بسلام قرب سيد البشر.. أن ذلك النور أصبح في قلوب كثير من الناس كهذه الأنوار الضبابية.. أه يا عمر..

د. خليفة

نشر بملحق الشرق الثقافي بتاريخ ٢٠١٤/١٠/١٩م